مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

انعكاس التحركات القبلية على نظم الجباية في المغرب وأساليبها نموذج العهد السعدي الأول ١٥١٠ – ١٥٧٨م

نصر الدين خلاد
باحث دكتوراه تكوين التراث الثقافي والتنمية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة
جامعة محمد الأول – المملكة المغربية

مُلَخّص

عمل محمد الشيخ السعدي مباشرة بعد تمكنه من مقاليد الحكم، على تعميم ضريبة النايبة التي أقرها أبوه عبد الله القائم، وقد أدى هذا الإجراء إلى اضطراب العلاقة بين مركز الحكم والرعية التي طغى عليها طابع الانتجاع والترحال، بحيث بدا الجهاز الجبائي بكل كوادره سواء المركزية منها أو المحلية، عاجزا عن التحكم في حركية القبائل وإيجاد قنوات ناجعة للتواصل معها، ومن تم إرغامها على أداء المستحقات الجبائية لصالح بيت المال، فكان نادرًا ما يفلح في تحقيق ذلك بأساليب سلمية ومرضية للطرفين، إذ في الغالب الأعم، ما جنح الجباة إلى الشطط واستعمال القوة ضد القبائل المرتحلة في المجال، مما يدفع هذه الأخيرة بدورها إلى مزيد من التملص الضريبي، الذي قد يتطور أحيانًا إلى خلع البيعة وشق عصا الطاعة، وهكذا أضحت العلاقة الجبائية بين مركز الحكم والقبائل غير المستقرة في مغرب القرن السادس عشر لميلاد معقدة للغاية، وفي حاجة إلى تسليط مزيد من الأضواء حول ثناياها .

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٧ نوفمبر ٢٠٢٤
تاريخ قبول النشر: ٢٩ يناير ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

السياسة الجبائية؛ التحركات القبلية؛ الدولة السعدية؛ العلاقة الجبائية؛ ضريبة النايبة

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2025.337055.1185

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

نصر الدين خلاد. "انعكاس التحركات القبلية على نظم الجباية في المغرب وأساليبها: نموذج العهد السعدي الأول".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد التاسع والستون؛ يونيو ٢٠٢٥. ص ٩٠ – ٩٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: n.khallad@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تعتبر الفلاحة من معاش المتضعين وأهل العافية،[١] لأنها وبشقيها الأساسيين، الزراعة وتربية الماشية، كانت كثيرة التأثر بغياب الاستقرار السياسي والاجتماعي،[٢] مما يجعل مواردها محدودة ومتواضعة للغاية، وغير قارة ولا ثابتة، وبناء على ذلك، لم تعتبرها السلطة السعدية الناشئة مستهل ق١٦م، مصدرًا للثروة على قدر طموحاتها السياسية ومطامعها التوسعية، فلجأت لتعويض هذا الخصاص في موارد بيت المال وسد ثغراته، إلى الإكثار من الضرائب والمغارم، فتم في سياق ذلك، ابتداع ضريبة النايبة.

هذا الإجراء، فتح الباب على مصراعيه أمام تعقد العلاقة الجبائية بين السلطة والرعية، فتراوحت بين الاستقرار حينا والاضطراب أحيانًا أخرى، لاسيما إذا استحضرنا في البال أن هذه الرعية، قد تألفت أساسا من قبائل رعوية وزراعية تعتمد في حياة أفرادها على خصوبة التربة وتوفر الكلأ ومواطن المياه، وأمام الظروف الطبيعية الصعبة، كانت تضطر هذه القبائل إلى التنقل المستمر بانتظام في واحات الصحراء، أو بين أعماق الأرياف وضفاف الوديان، أو بين سفوح الجبال وقممها، أو غير ذلك من سبل العيش ومسالك التي تفضي إلى دينامية مجالية، تعبر عنها كثافة الهجرات والتحركات القبلية، مما كان يؤدي تلقائيا إلى تطاحنات قبلية ونزاعات عشائرية انتهت في حالات كثيرة إلى صراع مسلح مع القبائل صاحبة الأرض أو فيما بينها.[٣]

وقد اخترنا من أجل المشاركة ضمن هذا العدد، أن يكون إسهامنا بمثابة محاولة لإغناء الموضوع في محوره المتعلق بالتحركات القبلية وآثارها السوسيو-اقتصادية والانعكاسات المترتبة عنها، وذلك من خلال التركيز على المسألة الجبائية، باعتبارها أبرز العوامل التي قد تساهم في ازدهار النشاط الاقتصادي للقبائل المرتحلة أو تفضي إلى انكماشه، وذلك من خلال التطرق لما يلي:

١. نماذج وأمثلة عن التحركات القبلية بالمجال المغربي خلال القرن السادس عشر.
٢. أساليب الاستخلاص الضريبي من القبائل المتحركة في المناطق الخاضعة للسعديين.
٣. انعكاس تعقد واضطراب العلاقة الجبائية بين السلطة السعدية والقبائل الرحل.

أولاً: أبرز التحركات القبلية إبان القرن السادس عشر الميلادي

ليس باليسير على الباحث رسم خريطة توطن بدقة، مراكز استيطان القبائل ومسارات تنقلاتها بالمغرب السعدي، وذلك نظرًا لسببين اثنين، أولهما يتعلق بالحركية والدينامية المجالية التي تميزت بها هذه القبائل، لا سيما العربية منها، والتي عاشت حرة طليقة تنتقل من جهة إلى أخرى، إما انتجاعا للمراعي وطلبا للرزق، إذ أن الأرض التي هم عليها، ليس لهم منها إلا الحيوان، الذين يملكون قطيعه بقدر ما يملكهم،[٤] وإما اضطرارًا تحت ضغط الأحداث القبلية أو تنفيذًا للأوامر السلطانية، وتبعا لهذا لم يكن الرحل مقيدين بقوانين الهجرة ولا خاضعين لشروط الاستيطان التي عرفت فيما بعد، بل لم تكن تقيدهم حدود سياسية ولا جغرافية، وإنما كانوا يدمنون على النجعة والتجوال لا يقر لهم في أي موطن قرار،[٥] أما السبب الثاني، فيتجلى في أن المؤرخين وكذلك الجغرافيين المعاصرين للدولة السعدية لم يهتموا بدراسة التحركات القبلية دراسة دقيقة تسمح بضبط مواطن الاستقرار للقبائل الرحل ورسم مسار لتنقلاتها داخل المجال المغربي أو المغاربي عمومًا، بل كان جل تركيزهم على عواصم الحكم والحواضر الكبرى.[٦]

يلزم التنبيه بداية إلى أن ظاهرة الترحال لم تكن حكرا على العرب الوافدين على البلاد، بل مارسها البربر لاسيما منهم " قبائل البتر"، فهؤلاء أهل البداوة والرحلة أيضا، لذلك وصفوا بأهل الوبر، أي سكان الخيمة، يعيشون منتجعين بين السهوب والهضاب والمناطق الرعوية الصحراوية أو القريبة من الصحراء،[٧] على غرار قبيلة زناتة التي كانت تسكن الخيام وتتخذ الإبل وتركب الخيل،[٨] بحيث تقاسمت مع عرب معقل المراعي الواقعة في حوض ملوية والريف الشرقي لمدة ليست باليسيرة (ق١٣ــــ ق١٤)، قبل أن تعمل بعد وصول أحد بطونها (بني مرين) إلى الحكم، على إقصائهم

التدريجي عن مداخل السهول الغربية ما بين حوض زيز وواد زا، مما اضطر قبائل معقل إلى إعادة الانتشار من خلال الانتجاع بين بلاد ملوية شمالاً وواحات كورارة وتوات وما جاورها من بلاد درعة وسوس جنوبًا، وظلت تتحين الفرصة المواتية للتسرب نحو السهول الأطلنطية انطلاقًا من مجالات نجعتها بالهوامش،[٩] ولم يتم لها ذلك إلا بعد انتقال مقاليد السلطة من بني مرين إلى بني زيدان مطلع القرن السادس عشر الميلادي.[١٠]

أما الحديث عن القبائل العربية الوافدة، فيقودنا إلى طرح نموذج معبر عن ديناميتها في المجال وحركيتها الدؤوبة، يتعلق الأمر بقبائل بني احسن التي تتبع كل من الوزان ومارمول مسارات تنقلاتها خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، لتستمر هذه الحركة حتى مطلع القرن العشرين الميلادي، انطلاقًا من أعالي نهر ملوية شرقًا وصولاً إلى سواحل الأطلسي غربًا، وبالضبط حول ضفاف نهر سبو، الخريطة المرفقة توضح لنا ذلك.[١١]

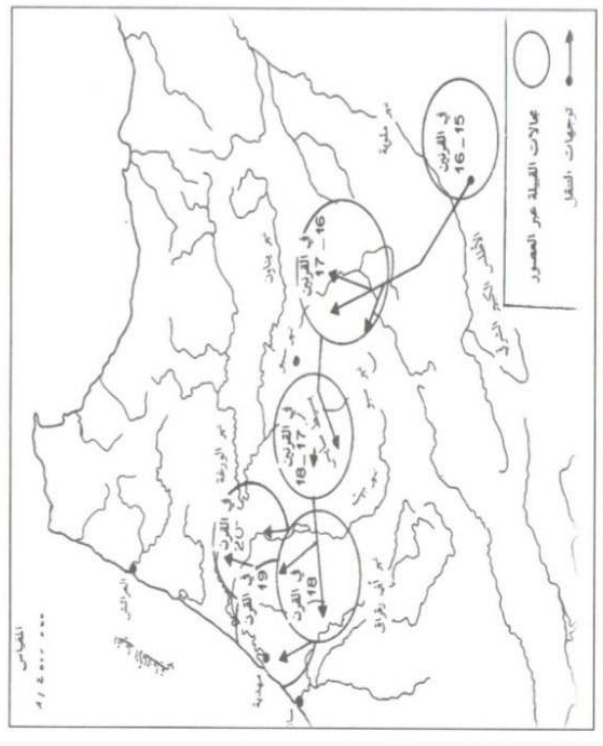

خريطة رقم (١)
مجالات تحرك قبائل بني احسن من ق١٥م إلى ق٢٠م.

وخلال العهد السعدي، حافظت تامسنا على أهميتها الاقتصادية باعتبارها المغرب الخصيب الذي يضم أبرز السهول الصالحة للزراعة وأجود المراعي في البلاد،[١٢] وبالتالي استمرت جاذبيتها لمختلف القبائل الرحل سواء من العرب أو البربر، مما جعلها تشهد تغيرات ديمغرافية وإثنية ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي، فخلاله أسكن بنو مرين بتامسنا قبائل زناتة وهوارة،[١٣] وهما من القبائل البربرية التي اختلطت مع قبائل الشاوية[١٤] بعدما وفدت هذه الأخيرة ثم استوطنت وبصفة نهائية منطقة تامسنا إبان حكم الوطاسيين،[١٥] مما ساهم في طغيان العنصر العربي على ساكنة المجال المذكور، لذلك فقد استرسل الوزان في وصفه لتامسنا، مشيرًا إلى أن جل سكانها من الأعراب.[١٦]

وقد حاول البرتغاليون بعد سيطرتهم على موانئ الأطلسي في نفس الفترة، لمَّ شتات القبائل المتحركة على طول ضفاف أم الربيع وجعلهم قبائل مستقرة، بهدف استعمال طاقتهم البشرية في استغلال المجال استغلالاً وافيًا، غير أن محاولتهم هاته باءت بالفشل، نظرًا لتشبث مختلف قبائل الشاوية بنمط الترحال الذي عهدوه، ذلك بسبب أنها "كانت متنقلة وتعيش بدواوير على شكل خيام".[١٧]

ننتقل لمثال آخر أكثر وضوحًا عن حركية القبائل، يتجلى في قبيلة الشرقية (شراكَة) التي يصعب توطينها بدقة إبان ق١٦م باعتبار الأوضاع السياسية التي أجبرتها على القيام برحلات مكثفة، وبالعودة إلى منطلقها فهم مجاورون لأولاد حسين من ناحية الشرق،[١٨] ولعل هذا سبب تسميتها بغية التمييز عن باقي قبائل المعقل، إذ كانوا يشغلون خلال حياته تخوم المغرب الأقصى شرقًا، لينتقلوا غربًا إلى حوز مراكش إبان الفترة قيد دراستنا،[١٩] ففرض عليهم قائد أزمور الدون بِدرو دي سوسا (D. Pedro de Sousa) بعد وصولهم أداء إتاوات في شكل قمح للتاج البرتغالي بعد حملها إلى أزمور، غير أن القبيلة أبت الالتزام بذلك مدعية أنها لا تعرف ممثلاً للبرتغال غير "أطاييد"، وإذا لم يحترم رغبتها ويخلي سبيلها فسوف تعود من حيث أتت.[٢٠]

وذاك ما كان، إذ لم يدم مكوثها طويلاً باعتبار الأوضاع السياسية كما أشرنا آنفا، فبعد اتساع نفوذ الدولة السعدية، حضر سلطان مراكش لمهاجمة آسفي

وأزمور في غشت ١٥٢٨م، فكان ذلك فرصة لأولاد عمران من أجل الثورة ضد البرتغال، وقد تراجعوا بعد ذلك نحو الداخل على بعد خمسة أميال في اتجاه مراكش عاصمة السعديين الجديدة، وقضوا هناك سنوات يرعون ماشيتهم حتى وصلوا إلى جبال درن التي تسميها المصادر البرتغالية (Môetes claros) بالجبال البيضاء دون أن يتمكن منهم أحد.[٢١]

نختتم هذا المحور بمثال آخر لا يقل أهمية عن سابقيه، من أجل أخذ صورة واضحة عن مدى تسارع حركية القبائل الرحل إبان الفترة موضوع مقالنا، وعن أبرز المجالات المعنية بتنقلاتها، ويتعلق الأمر بقبيلة " الرحامنة"، التي خبرت الترحال منذ انطلاقها من شبه الجزيرة العربية، فبالرغم من اشتغالها خلال مقامها بالصحراء وسوس بالتجارة مطلع ق١٦م،[٢٢] إلا أنها لم تفرط في نشاطها الأصلي الذي يستوجب كثرة الترحال، فقد كانوا يمارسون الرعي الواسعة مع ما يتطلبه هذا النشاط من ضرورة النجعة،[٢٣] لذلك مارست الرحامنة الترحال الرعوي من تخوم الصحراء إلى بلاد السوس، لينته بها المطاف في سهل الحوز،[٢٤] غير أنه لم تكن للسعديين كامل الثقة في قبائل الرحامنة، إذ ظل محمد الشيخ متخوفًا من عددهم وقوتهم، ولذلك لجأ مباشرة بعد إزاحة أخيه ثم مبايعته ملكا على مراكش، إلى ترحيلهم نحو منطقة تامسنا وأقطعهم أراضٍ جيدة هناك، ولتلخيص أبرز التحركات القبلية بصفة عامة سواء الدائمة أو الموسمية إبان الفترة موضوع مقالنا هذا، ندرج الخريطة التالية.[٢٥]

خريطة رقم (٢)
مسارات تحرك العائلات والقبائل على العهد السعدي

ثانيًا: معايير التحصيل الضريبي من القبائل الرحل

بالاعتماد على فصل بعنوان " القضاة وكيفية الحكم والتسيير" عند الوزان،[٢٦] نستنتج بأن محمد الشيخ السعدي لم يحدث بعد دخوله إلى العاصمة فاس تغييرًا يستحق الذكر عن نظام الحكم الوطاسي،[٢٧] وتبعًا لذلك يمكن تكوين الصورة التالية عن النظام السعدي بعد توحيد بلاد المغرب:[٢٨]

١. محمد الشيخ
٢. الوزير
٣. الحاجب
٤. الكاتب
٥. موظفو القصر
٦. الجيش

تجنبًا للإطالة، سنقتصر على شرح وتوضيح المناصب الموكول لها مهام استخلاص الضرائب من بوادي المغرب التي طغى على ساكنتها نمط الظعن والانتجاع، وبالضبط الكاتب والجيش، فالأول كان من خططه إلى جانب الكتابة " رئيس الخدم وأمين الصندوق"،[٢٩] والمقصود هنا بيت المال، إذ كان للكاتب دور مهم في جباية النايبة واستخلاصها من الرعية، يذكر عن ذلك

صاحب الدوحة " لما استفحل السلطان محمد الشيخ وتغلب على أقطار بلاد السوس، وضع عليها الخراج وجعل الوظيف على رؤوس الناس وسماه بالنايبة، وكان يضبط أزمة ذلك مع كتابه، إلى أن مروا في الأزمة بذكر أولاد الشيخ خالد، قال لهم السلطان ارسموهم لي في النايبة، ..."، (ابن عسكر، ١٩٧٧، ص ١١٦) أما مؤسسة الجيش فيمكن اعتبارها من أبرز الآليات التي اعتمدها أوائل السعديين من أجل استخلاص ضريبة النايبة من الرعية، مرة باللين ومرات أخرى كثيرة بالقوة والإجحاف، لاسيما من الرحل الذين كانوا يميلون في أغلب الحالات إلى الامتناع عن الاستجابة لتكليفات المخزن الجبائية، وسنأتي لتقديم أمثلة دالة في ما هو آت.

لكن قبل ذلك، وجب توضيح سبب اعتمادنا ضريبة النايبة دون غيرها، كنموذج لدراسة العلاقة الجبائية بين مركز الحكم السعدي والقبائل الرحل، فنقول بأن هذه الضريبة لا تعدو أن تكون تعويضا لضريبة الخراج،[٣٠] بدليل نص ابن عسكر أعلاه، وأمام حركية القبائل المغربية وتنقلاتها غير المضبوطة وغير النهائية، فإن اشكالية " فتح بلاد المغرب" وطبيعة أسلوبه؛ صلحًا/ عنوة ظلت مطروحة،[٣١] وهو الاشكال الذي استغله محمد الشيخ، من أجل تعميم ضريبة النايبة على اعتبار أن الأراضي الواقعة في السهول قد فتحت عنوة،[٣٢] وبالتالي فهي تستوجب على من يستغلها سواء بالزرع أو الرعي أن يدفع خراجها، مع العلم أن هذا النوع من الأراضي يمثل المجال الرئيسي للقبائل الرحل فلا تستقيم حياتهم بدونها.

ولا شك أن الاضطرابات السياسية التي كانت تعصف بالمغرب إبان الفترة موضوع دراستنا،[٣٣] قد أثرت سلبا على الأوضاع الاقتصادية للبلاد وأنظمتها الجبائية، حيث كان نجاح طرف دون الآخر وضمان بقائه في سدة الحكم، يتوقف على ما لديه من موارد مالية تضمن ولاء الجند وتضعف الخصم، أو كما قال الإفراني في النزهة: " أن الملك لا يتأتى إلا بالمال" (الإفراني، ١٩٩٨، ص ٨٣). وامتثالاً لذلك، اعتمد السعديون أساليب وِدية أثناء عمليات الاستخلاص الضريبي من القبائل المتنقلة في المجالات الخاضعة لهم حينا، كما استعملوا القوة ضدها أحيانًا أخرى، هادفين إلى ضمان حقوق بيت المال ومستحقاته، رغم الدينامية وكثافة تحرك القبائل لاسيما العربية منها.

وتبعًا لهذه الدينامية، عرفت النايبة تغيرات ملحوظة على مستوى صيغ تطبيقاتها وطرق تحصيلها، وقد ارتهنت هذه التغيرات الحاصلة على نوعية هذه الضريبة وكيفية أدائها (نقدًا/ عينا)، بانضباط مختلف القبائل خاصةً المرتحلة منها في المناطق البعيدة عن مركز الحكم، ومدى التزامها بأداء المستحقات الجبائية لصالح بيت المال، أما بخصوص المقدار العيني لهذه الضريبة زمن محمد الشيخ، فقد كان " صحفة من الشعير وعشرين مدا من القمح لكل نايبة وصاعا من السمن وكبشا لكل أربع نوائب"، (الناصري، ١٩٥٥، ص ٣١) أما حين كانت تؤدى نقدًا في عهد أحمد المنصور، فقد حدد مقدارها بعض الباحثين[٣٤] في أربع دنانير كواجب جبائي عن كل خيمة، وبعضهم الآخر بمثقال وربع عن كل فرد بلغ ١٢ سنة فما فوق رجلا كان أو امرأة، وعن كل كانون نفس المبلغ،[٣٥] ونشير إلى أن قيمتها اختلفت من خيمة لأخرى بحسب عدد أفرادها، لأن محمد الشيخ " جعل الوظيف على رؤوس الناس وسماه بالنايبة" كما سبق وأن رأينا.

وقد عرفت ضريبة النايبة طريقة عادية ومألوفة في الجبي، وذلك بحكم عراقة الوسائل المتاحة أمام السلطة المركزية، فإما أن يتكفل بجمعها ولاة السلطان أو عمال الخراج، وأحيانًا يتكفل السلطان بنفسه بجمعها في شكل حرْكات[٣٦] خاصة في المناطق البعيدة التي يرتادها الرحل، كما كانت عوائد النايبة وحواصلها، لاسيما إبان فترات التوتر والحالات الطارئة، تحمل إلى مركز تجميع الضرائب، وهي مراكز على شكل مخازن وأهراء إقليمية يتم تحديد موقعها سلفًا حسب مسار الحرْكة، قبل أن تحمل إلى بيت المال المركزي، فمثلا لما كان السلطان يريد مهاجمة قبائل طنجة أمر بجمعها بالخروب، أو جمعها بالقصر الكبير بالنسبة لحصيلة نايبة منطقة فاس.[٣٧]

ويتحتم علينا التنبيه في هذا المقام، إلى أن ظاهرة العنف أثناء استخلاص الضرائب، قد مثلت آخر إجراء يلجأ إليه المخزن السعدي بعد أن يستنفذ كل الوسائل

السلمية وطرق التفاوض الممكنة، فيبعث الرسائل والوفود للتوسط أو يطالب بحضور ممثلين عن القبيلة المعنية قبل الإقدام على توظيف العسكر واستخدام القوة معها، لأن ذلك وإن كان يرغمها على الإذعان لمطالب جهازه الجابي، فإنه في نفس الوقت لا يصب في مصلحة السلطة المركزية،[٣٨] سياسة اللين والتفاوض هاته، جعلت الكثير من القبائل تقبل ولو اضطرارا بأداء ضرائب وإتاوات إلى أكثر من جهة، مقابل حمايتها لهم وعدم تعرضها لمحاصيلهم، أو تأمينها لمواصلاتهم وتجارتهم، مثل قبائل منطقتي الشاوية ودكالة اللتان كانتا تدفعان الضرائب للبرتغاليين والسعديين والوطاسيين في آنٍ واحد.[٣٩]

من جانب آخر يمكن القول بأن خليفة محمد الشيخ، أي السلطان عبد الله الغالب (١٥٥٧م-١٥٧٤م)، يعتبر أفضل نموذج يمثل سياسة اللين والنهج السلمي في استخلاص حواصل النايبة المقررة على استغلال المراعي من قبل الرحل،[٤٠] فقد كان عهده "عهد سلم شامل في المغرب"، (دي صالدانيا، ٢٠١١، ص ٢٨) وسبب ذلك راجع بالأساس إلى أن الدولة السعدية كانت قد اجتازت مرحلة البناء والتأسيس في عهد أبيه مع ما تتطلبه هذه المرحلة من موارد مالية وفيرة، وبالتالي حققت استقرارا شبه تام في الأوضاع السياسية والعسكرية، فقد " كانت أيامه، أيام هدنة وعافية ورفاهية وربح معه الجيش، وكان يجمع الأموال ويعطيها، ولأجل ذلك صلح ملكه ولم يحدث في أيامه شر".[٤١]

تبعًا لما سبق، فقد وصفت بعض الدراسات الأجنبية " عبد الله الغالب" بأنه المؤسس الفعلي للدولة السعدية،[٤٢] ويمكن إرجاع ذلك إلى الرخاء الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي، حيث توفرت له مداخيل اقتصادية على جانب كبير من الأهمية،[٤٣] فإلى جانب الزكوات والأعشار التي كانت تؤديها أغلب القبائل بطواعية وتلقائية باعتبارها من الضرائب التي أوجبها الشرع الإسلامي، نجد النايبة التي لم يلجا "الغالب" في فرضها إلى نهج القسوة والإكراه الضريبي، بل روعي عند جبايتها الرأفة والمقدرة على الأداء كما أجمعت أغلب المصادر المشار إليها.

ثالثًا: الانعكاسات المترتبة عن اضطراب العلاقة الجبائية

بالموازاة مع ما هو سياسي، كان للجوانب الجيو-سوسيولوجيا دور لا يقل أهمية في تعقد واضطراب العلاقة الجبائية بين مركز الحكم والرعية ومضاعفة الانعكاسات المترتبة عن ذلك، حيث أن ترامي أطراف البلاد وبُعد المناطق النائية منها عن مركز السلطة، كان يضعف قدرة الحاكم على إيجاد قنوات ناجعة للتواصل مع عماله ونوابه في مختلف الأقاليم ويقلل من فعالية إشرافه عليهم، مما يسمح لهم بالاستقلال عن المركز من جهة،[٤٤] ومن جهة أخرى يشجع القبائل على الممانعة وعدم الاستجابة لتكليفات المخزن الجبائية، لاسيما منها تلك المستقرة في المناطق الجبلية أو البدو الرحل،[٤٥] ويعطينا الوزان نماذج كثيرة عن ذلك، كأعيان وفرسان جبل لوكاي بالريف، الذين يرفضون أداء أية إتاوة للسلطة نظرًا لأن "الطبيعة والجبل تحتميا بهم حماية تامة" (الوزان، ١٩٨٣، ص ٣٣٦) وكذلك أهالي بني مراسن بإقليم الحوز الذين" لا يؤدون أية ضريبة لملك فاس لأن جبلهم منيع". (نفسه، ص ٣٦٨)

في السياق نفسه، يمكن القول، أن بنية المجتمع المغربي وخصوصيته، ساهمت بنصيب أوفر في تدهور الأنشطة الاقتصادية وتراجع موارد الدولة منها، إذ أن هذا المجتمع تألف في جزء كبير منه، من القبائل الرحل وشبه الرحل المنتقلين باستمرار بين مختلف أرجاء البلاد بحثا عن شروط ملائمة للاستقرار، الأمر الذي كان يؤدي إلى صراع مسلح ما بين القبائل المستقرة صاحبة الأرض والقبائل الرحل، أو فيما بين هؤلاء،[٤٦] فكانت المحصلة طغيان التوتر وعدم الاستقرار على وضعية النشاط الفلاحي ومردوديته، وخير تعبير على هذه الحالة وصف بعض المصادر الأجنبية التي عاينت ذلك، بأن " المغاربة لا يملكون الأراضي الفلاحية ولا البساتين إلا بالقرب من المساجد وأسوار المدن، وسبب ذلك يعود إلى العرب الذين ينهبون في الليل كل شيء، ولهذا تراجع تعاطي السكان للنشاط الفلاحي فلا يستغلون خيرات بلادهم"،[٤٧] مما ساهم في تكريس نمط الانتجاع

وانتشار ظاهرة الترحال بين جل القبائل سواء العربية أو البربرية، كما وضحنا سابقًا من خلال أمثلة.

وقد كان لهذه الأوضاع انعكاسات وخيبة، إذ مباشرة بعد تأسيس الدولة السعدية في الجنوب المغربي واتساع كيانها الجغرافي فيما بعد لتصبح حدودها متاخمة لأتراك الجزائر شرقا والإيبيريين شمالا، كثر المتربصون بها في الداخل والمعادون لها من الخارج، حيث نجد عند الإفراني أن السلطان أحمد المنصور، وبعدما رأى أن المغرب " غب تلك الفتن قد فغر أفواهه لالتقامه عدوان عظيمان من الترك وعدو الدين الطاغية، فاضطر رحمه الله إلى الاستكثار من الأجناد لمقاومة الأعداء والدب عن الدين وحماية ثغور المسلمين، فدعا تضاعف الأجناد إلى تضاعف العطاء، وتضاعف العطاء إلى تضاعف الخراج، وتضاعف الخراج إلى الإجحاف بالرعية". (الإفراني، ١٩٩٨، ص ٨٧).

لذلك نعتبر أن الانعكاسات المترتبة عن نظام ضريبة النايبة، قد جعلت منه بصمة بارزة في تاريخ الدولة السعدية، وذلك نظرًا لدوره البارز في خلخلة الثوابت والأسس التي تحكمت سابقا في العلاقات البنيوية بين الدولة والقبائل، إذ أنه ومباشرة بعد تعميمها من قبل محمد الشيخ لتشمل مختلف مناطق البلاد وكافة أطياف المجتمع، تأججت نار الحقد والكراهية للمخزن السعدي وكوادر الجبائية، لاسيما من طرف المتضررين من هذه الضريبة وفي طليعتهم القبائل الرحل، مما أدخل البلاد في سلسلة من الصراعات السياسية والاضطرابات الاجتماعية.

حيث اندلعت في جبال الأطلس الكبير على سبيل المثال لا الحصر، ثورة عارمة قادها أشياخ بعض القبائل ما بين ١٥٥٤م-١٥٥٧م، احتجاجا على توسيع مجالات استخلاص النايبة،[٤٨] كما ثارت القبائل المرتحلة في نطاق درعة وواحاتها بزعامة بعض الأولياء،[٤٩] وشهدت قبائل الأطلس المتوسط ثورة مشابهة بقيادة "سيدي بوزيد" ولم تهدأ ثورتهم إلا بعد تدخل السلطان في حركة بنفسه لإخمادها بالقوة، يروي دي طوريس عن ذلك أن القبائل البعيدة عن مركز الحكم والمنتشرة في بادية الأطلس قد: "أحدثوا اضطرابا كبيرا حتى بلغ خبر ذلك إلى الشريف، ويعزى سبب تمردهم إلى الضرائب التي كان الشريف يثقل بها كاهلهم". (دي طوريس، ١٩٨٨، ص ١٧١)

ولعل المقصود في سياق الكلام أعلاه، قبائل " الخلط"، التي تتبع كل من الفشتالي[٥٠] والإفراني[٥١] حركيتها الدؤوبة بين الأطلس المتوسط والكبير والبحر الأبيض المتوسط،[٥٢] وقد ثار هؤلاء الرحل ضد المنصور رغم أنه " حرر منهم النصف من بذل الخراج، وضربه على النصف الآخر"، (الفشتالي، دون تاريخ، ص ١١٠) وقد استغل " الناصر ابن الغالب" هذه الظروف ليوسع ثورتهم إلى أن شملت سائر الشمال المغربي بما فيها فاس وبني زناسن ومليلية، " فقد زحف معه عرب الشرق بحللهم وأولادهم كافة ... ثم أخماس تازى عن آخرها ومشهور البربر بحذافرها". (نفسه، ص ١٨٤).

نفهم من هذا النص المصدري، أن الإجحاف والتعسف الضريبي من قبل أحمد المنصور، كنموذج مغاير لسلفه عبد الله الغالب، قد ساهم في توحيد مختلف مكونات المجتمع المغربي، إذ شاركت في الثورات والتمردات المذكورة سابقًا، كل من القبائل البربرية والأعراب الرحل، مؤطرين أساسا بواسطة عدد من الأولياء والصلحاء وأرباب الزوايا، الذين كانوا في وقت مضى يضفون صفة النزاهة والمصداقية في العلاقة مع الرعية وكذلك صبغة المشروعية السياسية على سلطة السعديين ونظامهم الجبائي، بل كان هؤلاء هم أساس بُنيان دولة الشرفاء، وفي طليعتهم أهم سوس، يقول عن ذلك محمد المختار السوسي: "كان الفقهاء السوسيون الجزوليون أول من أقام عماد الدولة السعدية حوالي ٩١٨ هـ، فنجحوا في عملهم نجاحا باهرا". (المختار السوسي، ١٩٦٦، ص ٢٩).

خَاتِمَةٌ

لنبدأ استنتاجنا بآخر ما توقفنا عنده، ونقول بأن هذا الواقع المتردي الناجم عن تعميم النايبة والاجحاف في استخلاصها، قد أدى إلى انكماش السلطة السعدية، حيث غدت العلاقة بين أغلب القبائل الرحل مع مركز الحكم في العاصمة لا تتجاوز مستوى التبعية الإسمية من جهة،[٥٣] ومن جهة ثانية كانت المجموعات القبلية المتحركة في القفار والمناطق النائية، لا تتوانى عن إعلان الثورة ونكث عهود الطاعة والولاء في كل فرصة تتاح لها، وهو الأمر الذي كان يشكل ضربة قاصمة لقوة الدولة وامتداداتها السياسية في المجال القبلي المؤطر بواسطة الزوايا.

هذا الواقع يترجم بوضوح في الحرَكات السلطانية المتعددة التي لم تكد تتوقف أمام إحجام الرحل عن أداء النايبة رغم استعمال القوة ضدها، إذ كان "السلطان يجد صعوبة كبيرة في إخضاع القبائل، ورغم أن أغلب الرعايا يعترفون به، فلا تؤدي له ولو قبيلة واحدة الضرائب إلا إذا ذهب بنفسه لاستخلاصها من الدواوير والمنازل على رأس حملة عسكرية تضم عادة ما بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ فارس".[٥٤]

وقد أدت هذه الحرَكات، نظرًا لضخامة المصاريف التي تلتهمها، إلى مضاعفة الانعكاسات التي لحقت القبائل الرحل من جراء تطبيق نظام ضريبة النايبة، إذ انكمش الانتاج الزراعي وكذلك الحيواني إلى مستويات كارثية، فكانت الحصيلة تضررهم في الأرزاق وسبل العيش، وبالتالي، إصرارهم على الانتجاع بعيدًا عن المركز تجنبًا للقاء الجهاز الجبائي المخزني،[٥٥] مما كان يدفع هذا الأخير بدوره إلى تنويع أساليبه بين اللين والإجحاف، من أجل استخلاص المستحقات الضريبية الواجبة على القبائل المرتحلة، بمعنى آخر أن العلاقة الجبائية بين الطرفين، كانت معقدة للغاية تدور في حلقة شبه مفرغة، مع غياب حلول في الأفق.

الإحالات المرجعية:

(١) عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، منشورات الدار التونسية، مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤، ص ٤٧٥.

(٢) هذا بغض النظر عن تأثرها بالكوارث الطبيعية المتعاقبة، من جفاف أو جراد أو أوبئة، للمزيد حول انعكاسات هذه الكوارث وغيرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لساكنة المغرب، خلال المرحلة قيد دراستنا، يرجى مطالعة مقال مشترك في هيسبريس تامودا لِـ:
Bernard Rosenberger et Hamid Triki, " ***Famines et épidémies eu Maroc aux XVI(e) et XVII(e) siècles***", Hespéris Tamuda, vol : XIV, éditions Techniques Nord-Africaines, Rabat, 1973, pp 109-175.

(3) René-Jules Frisch, **Le Maroc: géographie, organisation, politique, (1895)**, Éditions Hachette Livre, Paris, 2012, pp 166-167.

(٤) محمد عابد الجابري، **فكر ابن خلدون؛ العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٦، ١٩٩٤، ص ١٤٨.

(٥) لا سيما منهم سكان الصحاري والقفار الذين تتميز أراضيهم بالجدب والقحط، مما يجبرهم على الحركة الدائمة من مكان لآخر، بحثا عن العشب لإبلهم التي " تدعوهم إلى التوحش في القفر لرعيها"، حسب تعبير ابن خلدون، والذي يضيف في السياق نفسه: " أما من كان معاشهم في الإبل، فهم أكثر ظعنا وأبعد في القفر مجالا، لأن مسارح التلول ونباتها وشجرها، لا يستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر"، انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، م س، ص ١٢١.

(٦) هذا باستثناء ابن خلدون الذي تتبع شعوب العرب والبربر وقبائلهم وبين مواطنها الأصلية وتنقلاتها، ثم المجالات التي انتهى بها المطاف على عهده، لذلك سنعتمد عليه من أجل عرض بعض الأمثلة عن مناطق تحركات القبائل المغربية خلال حياته (ق١٤م) مع تتبعها إبان الفترة موضوع مقالنا هذا (ق١٦م).

(٧) عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، ج ١، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨، ص ٢٩٧-٣٠٢.

(٨) عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)**، المجلد ٦، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، ص ٢٨٩.

(٩) يقول ابن خلدون عن قبائل معقل: " وجاوروا زناتة في القفار والغربية فعفوا وكثروا وأنبتوا في صحاري المغرب الأقصى، فعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه،.... فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن، قام هؤلاء المعقل في القفار وتفردوا في البيداء"، انظر المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

(١٠) فقد وفد الزيدانيون، الذين سيُلقبون فيما بعد بالسعديين مع قبائل بني هلال من المشرق العربي، عبر شمال الصحراء ليستقروا في جنوب المغرب، قبل أن يتحالفوا مع عدد من القبائل البربرية بسوس ليتمكنوا من تأسيس دولتهم، انظر:

Yves Lacoste, **Géopolitique de la Méditerranée**, Armand Colin Editeur, Paris, 2006, pp 321-323.

(١١) مصطفى بوشعراء، **علاقة المخزن بأحواز سلا؛ قبيلة بني احسن نموذجًا ١٨٦٠-١٩١٢**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٦، ص ٣٤.

(12) Yves Lacoste, **Géopolitique,** op. cit, p 316.

(١٣) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف أفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج ٣، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣، ص ١٩٦.

(١٤) ابن خلدون، **كتاب العبر**، المجلد ٦، م س، صص ١٣٩-١٤٤.

(١٥) نُذّكر أنه في بادئ الأمر انفرد بنو هلال بمنطقة تامسنا، لكن بعدما انضافت إليهم قبائل أخرى مثل جشم والخلط وسفيان ... واندماج الكل مع بعض القبائل البربرية (زناتة وهوارة) التي أشار إليها الوزان، أُطلق على الجميع " شاوية" تغليبا، بمعنى أن هذا اللفظ لا يدل على أصل عرقي أو إثني، وإنما هو لقب لمن امتهن الرعي ولازم التنقل والترحال، يقول ابن خلدون حول تسمية هذه القبائل: " ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر، فهم ظواعن في الأغلب لارتياد المسارح والمياه لحيوانهم، إذ التقلب في الأرض أصلح بها، ويسمون شاوية، ومعناه القائمون على الشاء والبقر"، انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، م س، ص 121.

(١٦) الوزان، **وصف**، ج 3، م س، ص ١٩٦.

(17) Pierre de Cenival, **Les Sources Inédites de l'histoire du Maroc**, première série, Dynastie Sa'dienne, Archives et bibliothèques de Portugal, Tom II, juillet 1486 – avril 1516, éditions Paul Geuthner, Paris, 1934, op. cit, p ٨٢.

(١٨) ابن خلدون، **كتاب العبر**، المجلد ٦، م س، ص ٦٧. وجب الإشارة إلى أن "الشرقية" مرادفة لـ " أولاد عمران"، فهما إسمان لقبيلة واحدة باعتبار نفس المصدر، ص ٥٨ و ٦٠.

(١٩) حليمة بنكرعي، **العنصر العربي والمجال في مغرب ١٤٥٩-١٥٤١م؛ بادية الواجهة الأطلنطية نموذجا**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ٢٠٠٠، ص ١٤٩. - نجد تأكيد لهذا المعطى عند: عبد الرحمان المودن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار؛ قبائل إيناون بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٥، صص ١٦٤-١٦٥.

(٢٠) Sources Inédites, Portugal, tom I, op. cit, p 2 ٣٢.

(٢١) وذلك بناء على ما تؤكده إحدى الرسائل بين قائد أزمور والتاج البرتغالي، موثقة بتاريخ ٣٠ أكتوبر ١٥١٨م، انظر:
Sources Inédites, Portugal, tom I, op. cit, p ٢٣٣.

(٢٢) عبد الرحيم العطري، **الرحامنة؛ القبيلة بين المخزن والزاوية**، منشورات دفاتر العلوم الإنسانية، سلسلة أبحاث ودراسات رقم ١، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط ٤، ٢٠١٣، صص ٣٦-٣٧.

(٢٣) عبد الرزاق الصديقي، مادة " **الرحامنة**" في مجموعة من الباحثين تحت إشراف محمد حجي، **معلمة المغرب**، ج ١٣، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٤٢٨٤.

(24) Paul Pascon, **Un été dans le Haouz de Marrakech**, Tom I, Ouvrage conçu et présenté par Abdelmajid Arrif en collaboration avec Mohamed Tozy, Editions La Croisée des Chemins, Collection Sources et ressources, Casablanca, 2017, p 192.

(٢٥) محمد مزين، **فاس وباديتها؛ مساهمة في تاريخ المغرب السعدي (١٥٤٩-١٦٣٧م)**، الجزء الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ١٢، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، الرباط، ص ١٢٦.

(٢٦) الوزان، **وصف أفريقيا**، ج ١، م س، ص ٢٤٩ وما بعدها.

(٢٧) سبق لابن خلدون وأن قدم لنا تفسيرا لهذه القاعدة، حيث قال في مقدمته: " وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر، فلابد وأن ينزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها..."، انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، م س، ص ٥٩.

(٢٨) نشير في هذا الصدد إلى أن المصادر التاريخية المرتبطة بالدولة السعدية، قد تغني الباحث من أجل دراسة الجهاز الإداري والنظام الجبائي المتبع من طرف أحمد المنصور، وذلك أن غنائم معركة واد المخازن وعوائد التوسع جنوبا نحو السودان، قد وجه اهتمام المؤرخين نحو بيت المال ودفعهم إلى التأريخ الدقيق لمداخيل خزينته، بما فيها الضرائب والجبايات التي كانت مقررة آنذاك، وخير مثال وثيقة " **ديوان قبائل سوس**" لإبراهيم بن علي الحساني، على العكس من ذلك، فإن الفترات التي سبقت أحمد المنصور لا تزال في حاجة إلى مزيد من التقصي والبحث، لاسيما مرحلة حكم محمد الشيخ، وهذا ما دفعنا إلى محاولة تكوين صورة عن أجهزة الإدارة وأذرعها الجبائية، ثم أساليب تعاملها مع الرعية الممتنعة خاصة القبائل الرحل.

(٢٩) دييغو دي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة شركة المدارس النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٨، ص ١٨٣.

(٣٠) يعتبر الخراج بمثابة إيجار يفرض على الأراضي المفتوحة عنوة يدفعه المزارع أو الراعي، سواء كان مسلما أم غير مسلم لصاحب الأرض أي السلطان، وقد كان الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي أول من سنه بعد اعتباره أن بلاد المغرب الأقصى قد فتحت عنوة، انظر: أبي الحسن الماوردي، **الأحكام السلطانية**، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦، صص ٢٢١-٢٢٢.

(٣١) حيث نجد في كتب النوازل مسائل عدة ذات علاقة بالموضوع، طرحت على الفقهاء المعاصرين للمرحلة موضوع مقالنا هذا، انظر مثال عند: أبي العباس الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، ج ٩، تحقيق محمد حجي وآخرون، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٩٨١، ص ٧٣.

(٣٢) محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص ٨٧.

(٣٣) شكل عدم الاستقرار السياسي إلى جانب الاضطرابات الاجتماعية، السمة البارزة التي ميزت أواخر ق١٥م ومطلع ق١٦م من تاريخ المغرب، فعلاوة على الصراع بين السلطة المركزية للوطاسيين والدعوة الناشئة للسعديين، نجد طرفًا ثالثًا تمثل في الإيبيريين، وآخر رابعًا تجلى في أتراك الجزائر، هذا ناهيك عن قوى محلية كانت

تطمح إلى الحكم هنا وهناك، مستغلة ضعف السلطة المركزية لبني وطاس، الذين لم يحكموا حسب شهادة مرمول سوى فاس ونواحيها، انظر: مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج١، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٧، ص ٤٢٤.

(٣٤) الفقيه الإدريسي، **الجباية في عهد الدولة السعدية مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، ج ١، مرقونة بخزانة كلية الآداب بفاس، ١٩٩٥، ص ٢٠٥.

(٣٥) حليمة بنكرعي، **مداخيل بيت مال المغرب في عهد السعديين ١٥٤٨-١٦٦١م** دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ٢٠٠٦، ص ٤١. والتي تحيل إلى كتاب " افريقيا" لمارمول في جزئه الثاني، غير أن المصدر الذي يرد فيه هذا المعطى بشكل أقرب للدقة هو: دي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، م س، ص ٢٢٣.

(٣٦) الحرْكة، مصطلح مخزني يعني الغزوة أو المسيرة العسكرية التي تنظمها السلطة لإثبات سيادتها على جهة ما من البلاد عن طريق إخضاع الخارجين عن الطاعة والممتنعين عن أداء الضرائب، انظر: عبد الإله الفاسي، ضمن **معلمة المغرب**، ج ١٠، م س، صص ٣٣٧٨-٣٣٨٠.

(٣٧) حليمة بنكرعي، **مداخيل بيت مال**، م س، ص ٣٨. - الفقيه الإدريسي، **الجباية...**، م س، ص ٢١٦.

(٣٨) عبد الرحمان المودن، **البوادي المغربية**، م س، صص ٣٥١-٣٥٥.

(٣٩) وكذلك الرحل المنتجعين ضواحي آسفي جنوب البلاد، على غرار قبيلة "مِشنزاية " المصمودية، التي تنعتها المصادر بـ"خدام السلطان وخدام القبطان"، إذ أن تحركاتها المنتظمة جعلها تتردد مرة في المناطق التابعة لسلطان مراكش بعد تمكن السعديين منها، ومرة أخرى في المناطق الخاضعة لقبطان آسفي، حيث نجد في المصادر البرتغالية رسالة مفادها: " نعلمك بمشنزاية خدام السلطان وخدام القبطان، ونعلمك بأن أحمد ابن الحاج أسَّدَّ البيبان عن الحرث، ومشنزاية ما عندهم إلا يرفعوا الغرامة في يوم واحد ولا تبقى عليهم خروبة، فقام إليهم يحيى أوتعفوفت لترفعوا شيء حتى تنزلوا من دار الحرث، ففشلوا عن الغرامة، إن كانت عافية السلطان وعافية القبطان باقية أعلمنا به، وتُنه يحيى عن المسايل التي اشتغل بها." انظر:

Sources Inédites, Portugal, tom I, op. cit, p 370.

(٤٠) مارمول، **إفريقيا**، ج ٢، م س، صص ١٦٧ و ٣١٦.- الإفراني، **النزهة**، م س، ص ٩٩.

(٤١) أي لم تسجل المصادر قيام ثورات ضده على عكس سلفه محمد الشيخ، وكذا خلفه أحمد المنصور، والذي سنتطرق لأسلوبهما في الجباية من الرحل، كنموذج دال عن الإجحاف واستعمال القوة أثناء عمليات الاستخلاص وما يترتب عن ذلك من انعكاسات، انظر: مؤرخ مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تحقيق عبد الرحيم بن حادة، منشورات عيون المقالات، مطبعة دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ط ١، ١٩٩٤، ص ٤٢.

(42) Gaston Deverdun, **Marrakech des origines à 1912,** éditions Technique Nord africaines, Rabat, 1959, p 359.

(٤٣) عمل عبد الله الغالب بعد توليه الحكم على تنمية موارده المالية من خلال الاهتمام بالمداخيل التي تدرها صناعة السكر، حيث وصلت عائدات معامل السكر في مدينة تارودانت وحدها ٧٥٠٠ مثقال ذهبا سنويا، في الوقت الذي بلغت فيه عائدات السكر المصنوع في البلاد ككل ١٥٠٠٠ مثقال سنويا، كما اهتم أيضا بالمبادلات التجارية مع الدول الأوروبية. انظر: Sources Inédites, France, tom I, op. cit, p 304.

(٤٤) عابد الجابري، **فكر ابن خلدون**، م س، ص ٢٦.

(45) Abdallah Laroui, **L'histoire du Maghreb : un essai de synthèse**, édit FRANÇOIS MASPERO, 1. PARIS, 1975, p 84.

(٤٦) ابن خلدون، **المقدمة**، م س، صص ١٢١-١٢٣.

(47) Sources Inédites, France, tom III, op. cit, pp 699-700.

(٤٨) عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دون تاريخ، ص ٤٠.

(٤٩) الفقيه الإدريسي، **الجباية ...**، م س، ص ٤١٨.

(٥٠) الفشتالي، **مناهل الصفا**، م س، صص ١٠٨-١١٢.

(٥١) الإفراني، **النزهة**، م س، صص ٩٨-٩٩.

(٥٢) حركة الانتجاع هاته، يؤكدها مرمول في قوله "إنهم يفلحون أراضيهم ويحصلون فيها على كثير من الشعير والقمح، ويربون العديد من الماشية الكبرى والصغرى، ولذلك فهم لا يستقرون في أي مكان، بل ينتقلون بين هذه الجهة وتلك طلبا للمراعي"، انظر: مارمول، **إفريقيا**، ج ١، م س، ص ٨٧.

(٥٣) يقول عابد الجابري في دراسته لفكر ابن خلدون: " هؤلاء البدو الرحل الذين لا وطن لهم، كانوا يعيشون في الغالب، بمنأى عن السلطة الحاكمة فلا يدفعون ضرائب ولا يخضعون للمراقبة، وإنما تكتفي منهم الدولة حتى في إبان قوتها بمجرد الولاء والتبعية الإسمية"، انظر: عابد الجابري، **فكر ابن خلدون**، م س، ص ٢٦.

(54) Sources Inédites, France, tom III, op. cit, p 362.

(٥٥) وقد شكل هذا الأمر، نواة وسببا كافيا لنشأة ما سيعرف في قاموس التاريخ المغربي بقبائل السيبة، في مقابل قبائل المخزن التي تذعن له بأدائها لتكاليفه الجبائية، للمزيد من التفاصيل يرجى الاطلاع على:

R-J Frisch, **Le Maroc**, op. cit, p 172.